

الباب الثالث

قيادة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم

أ. ترجمة سليمان عليه السلام

قال الحافظ ابن عساكر: هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو الربيع ، نبي الله ، ابن نبي الله^١.

جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا : فارص بالصاد المهملة . وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر .^٢ قال الله تعالى : وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين [النمل . 16 : أي : ورثه في النبوة والملك . وليس المراد وراثته المال ؛ لأنه قد كان له بنون غيره ، فما كان ليخص بالمال دونهم .^٣ ولأنه قد ثبت في "الصحيح" من غير وجه ، عن جماعة من الصحابة ، أن [ص 324 : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة وفي لفظ : إنا معاشر الأنبياء لا نورث فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم ، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج ، لا يخصصون بها أقرباءهم ؛ لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك ، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم . وقال : يا أيها الناس

^١ ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 431.

^٢ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة: دار الجيل، 2001، ج. 7، ص. 312.

^٣ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، 1998، ج. 3، ص. 372.

علمنا منطق الطير يعني أنه ، عليه السلام ، كان يعرف ما تتخاطب به الطيور بلغاتها ، ويعبر للناس عن مقاصدها وإراداتها .^٤

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة ، فقال لأصحابه :أتدرون ما يقول ؟ قالوا : وما يقول يا نبي الله ؟ قال يخطبها إلى نفسه ، ويقول : زوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت . قال سليمان ، عليه السلام : لأن غرف دمشق مبنية بالصخر ، لا يقدر أن يسكنها أحد ، ولكن كل [ص 325 : خاطب كذاب . رواه ابن عساکر عن أبي القاسم زاهر بن طاهر ، عن البيهقي به .^٥

وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات ؛ والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات : وأوتينا من كل شيء أي : من كل ما يحتاج الملك إليه ، من العدد ، والآلات ، والجنود ، والجيش ، والجماعات من الجن ، والإنس ، والطيور ، والوحوش ، والشياطين السارحات ، والعلوم ، والفهوم ، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات . ثم قال : إن هذا هو الفضل المبين أي : من باري البريات وخالق الأرض والسموات ، كما قال تعالى : وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطيور فهم يوزعون حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني

^٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، 1998، ج. 3، ص. 372.

^٥ ابن حيان محمد على باسود، قانون سليمان عليه السلام في قيادته، القاهرة: الأزهر، 2001، ص.

برحمتك في عبادك الصالحين [النمل . 19 - 17 : يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود ، عليهما الصلاة والسلام ، أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسيرون معه ، والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره ، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة، أي نقباء يردون أوله على آخره ، فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه ، قال الله تعالى : حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فأمرت ، وحذرت ، واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور . وقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف ، وأن هذه النملة كان اسمها " جرس " وكانت من قبيلة يقال لهم : بنو الشيصبان ، وكانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب . وفي هذا كله نظر ، بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكبا في خيوله وفرسانه ، لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء ؛ لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام ، والطير من فوق ذلك كله ، كما سنبينه بعد ذلك ، إن شاء الله تعالى .

والمقصود أن سليمان ، عليه السلام ، فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد ، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره ، وليس كما يقوله بعض الجهلة ، من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان ، وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها ، فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك ، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ، ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره ؛ إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ، ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره ، وكان هو

يفهمها ، لم يكن في هذا أيضا فائدة يعول عليها ، ولهذا قال : رب أوزعني أي : ألهمني وأرشدني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه ، وعلى ما خصه به من المزية على غيره ، وأن ييسر عليه العمل الصالح ، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين ، وقد استجاب الله تعالى له . والمراد بوالديه داود ، عليه السلام ، وأمه ، وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود ، عن يوسف بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قالت أم سليمان بن داود : يا بني لا تكثر النوم بالليل ؛ فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة رواه ابن ماجه عن أربعة من مشايخه ، عنه به نحوه . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري : إن سليمان بن داود ، عليه السلام ، خرج هو وأصحابه يستسقون ، فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم ، إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها . قال ابن عساکر : وقد روي مرفوعا ولم يذكر فيه سليمان . ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني أبو سلمة ، عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله ، فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة وقال السدي : أصاب الناس قحط على عهد سليمان ، عليه السلام ، فأمر الناس فخرجوا ، فإذا بنملة قائمة على رجلها ، باسطة يديها وهي تقول : اللهم إنا خلقنا من خلقتك ولا غناء بنا عن فضلك . قال : فصب الله عليهم المطر.^٦

^٦ ابن حيان محمد على باسود، قانون سليمان عليه السلام في قيادته، القاهرة: الأزهر، 2001، ص.

ب. إشارة القرآن في قيادة سليمان عليه السلام

أصبح سليمان النبي عليه السلام ملكاً على بني إسرائيل وقائداً لهم بعد أبيه داود عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل: 16، والوراثة في هذه الآية ليست وراثة النبوة؛ لأن النبوة درجة يصطفي لها الله جل جلاله من يشاء من عباده، وإن كان بعض أبناء الأنبياء أنبياء، فهذا من باب الاصطفاء وليس الوراثة، وكذلك هي ليست وراثة المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون المال؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة [1])) فتكون الوراثة هنا هي وراثة وظيفة الخلافة في الأرض، وتحمل أعباء الحكم بين الناس بما أنزل الله سبحانه وتعالى وقيادتهم، وكذلك هي وراثة العلم، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم^٧)).

ج. صفات سليمان عليه السلام القيادية التي جاء ذكرها في القرآن العظيم

1. أنه عليه السلام أوّاب؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30]، وقد بينت صفة الأواب عند داود عليه السلام.
2. تفقّد الرعية: فمن مهام القائد أن يتابع ويتفقد رعيته، فضلاً عن جنوده؛ قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20]، والتفقد يكون وفق سياستين:

^٧ محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، (بيروت: دار الفكر، 2001)، ج. 1، ص. 234.

الأولى: المتابعة الميدانية والمراقبة، ومعرفة المقصّرين والذين يقومون بتطبيق القوانين من

المخالفين، ومن يقوم بالأعمال على الوجه الأمثل من غيره.

الثانية: معرفة من يحتاج للمساعدة بشتى أنواعها؛ المالية والصحية، وغيرها.

وفي موضوع تفقّد النبي سليمان عليه السلام مجموعة من المسائل :

الأولى: أن القائد سليمان عليه السلام كان يتفقّد كل رعيته بدون استثناء، ولأن غائباً كان

في جماعة الطيور، فقد جاء السياق القرآني أنه عليه السلام تفقّد الطير، وإلا فليس من المنطق أن

يتفقّد الطير ولا يتفقّد الجنود مثلاً؛ فالقائد الإيجابي يتفقّد الرعية كلّها؛ صغيرها وكبيرها، غنيّها

وفقيرها، صحيحها وسقيمها، وهكذا كان ذأب القائد سليمان عليه السلام^٨.

الثانية: أن الهدهد من المخلوقات الضعيفة؛ لكونه طائرًا، فمن هنا كانت رسالة لكل قائد أن

لا ينسى في تفقّده صغار القوم^٩.

الثالثة: بالرغم من صغر الهدهد وضعفه، فإنه يتمتع بقدرات هائلة؛ فهو يتميز ببصره الثاقب،

حتى إنه يستطيع أن يعي ما تحت الأرض لحدّ معين، كما أن له القدرة على قطع المسافات

الشاسعة، فضلاً عن جماله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كان الهدهد يدُلُّ سليمان على

الماء[3]"، وكان الهدهد بمثابة مسؤول الاستخبارات الذي يأتي بالأخبار عمّا يجري في محيط الدولة

^٨ موسى الحامدي، قيادة سليمان في التربية الإسلامية، القاهرة: دار العلوم، 2008، ص. 34.

^٩ موسى الحامدي، قيادة سليمان في التربية الإسلامية، القاهرة: دار العلوم، 2008، ص. 34.

التي يقودها النبي سليمان عليه السلام، ولهذا فإن على القائد متابعة ذوي القدرات المتميزة والمهارات الخاصة، وتخصيصهم بالتفقد وغيره، كما يمكنه أن يُعطيهم مَهَمَّات إضافية، ويتواصل معهم بشكل دائم^{١٠}.

الرابعة: أن سليمان عليه السلام افتقد الهدهد بنفسه؛ حيث قال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ﴾ [النمل: 20]، ولم يعتمد على تقارير الآخرين، وإن جاءت للقائد تقارير هو بحاجة لها فينبغي أن يتوثق منها بنفسه؛ لئلا يكون ما يدفع كاتبها أسباب شخصية أو مصالح دنيوية أو عداوة معينة في تعيين أخطاء الآخرين وكشف عوارهم.

3. الشعور بالمسؤولية عن هداية الآخرين: وهي صفة من صفات القائد الإيجابي، بل هي

واجبة عليه، فهو يشعر بأن مسؤولية إضافية تقع على عاتقه تتجلى في هداية الآخرين ونشر الفضيلة بينهم، وإن لم يكونوا من رعيته أو أتباعه، ومن هنا كتب نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس وقومها كتاباً يدعوهم فيه للدخول في الإسلام، ويلاحظ أن كتاب سليمان عليه السلام لم يكن فيه إطناب وسرد طويل للكلام، وإنما كان موجزًا وواضحًا، وبلغته بسيطة ومفهومة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 30، 31]، وهذه صفة مهمة في مخاطبات القائد الإيجابي؛ يختصر الكلام حتى لا يتيه الآخرون بين كثرة المعاني وطول الكلام؛ يقول الطبري:

^{١٠} موسى الحامدي، قيادة سليمان في التربية الإسلامية، القاهرة: دار العلوم، 2008، ص. 34.

"وكذلك كانت تكتب الأنبياء، لا تُطنب، إنما تكتب جُملاً، قال: لم يزد سليمان على ما

قصَّ الله جل جلاله في كتابه: إنه، وإنه. [4]"

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "وكان - سليمان عليه السلام - مع ذلك رجلاً حُبب إليه الجهاد والغزو، فلما دلَّه الهدهد على مُلكٍ بموضع من الأرض، هو لغيره، وقوم كفره يعبدون غير الله جل جلاله، له في جهادهم وغزوهم الأجرُ الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضُمُّ مملكة لغيره إلى مُلكه حَقَّت للهدهد المعذرة، وصحَّت له الحجَّة في مَغيبه عن سليمان¹¹.

ومن هنا فإنَّ الهدهد حين جاء بالنبأ للنبيِّ سليمان عليه السلام قدَّم له بما يُلائم مقام

الجهاد والغزو؛ فهو يخاطب القائد بما ينسجم مع توجُّهه العام، وهذا يعني أن هناك لغةً مشتركة وتفاهماً إيجابياً بين القائد ومَن يعمل معه.

4. المحاسبة: من صلاحيات القائد الإيجابي أنه يحاسب من بمعيتته ، ولكنَّ الحساب يكون

بالحق؛ فمن يقصّر متعمداً، أو يتهاون، أو يخرق القوانين، فلا بد له من المحاسبة، تتبعها

العقوبة إذا اقتضت الضرورة، ومن غير المحاسبة يتيه الأتباع، ويمارسون الخطأ، ويتجاوزن

الأنظمة غير آبهين بما يجري ولا بالنتائج المترتبة على ذلك العمل؛ لهذا قال أحد الحكماء :

"من أمن الحساب أساء الأدب"، ومن هذا المبدأ بيَّن نبيُّ الله سليمان عليه السلام أنه

سيُحاسِب ويعاقب الهدد إذا ثبت تقصيره؛ قال تعالى: ﴿لَأَعَدِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21].

¹¹ موسى الحامدي، قيادة سليمان في التربية الإسلامية، القاهرة: دار العلوم، 2008، ص. 34.

وحين يَغيب أحد أتباع القائد - سواء كان جنديًا، أو يعمل بوظيفة مدنية - من غير عذر،

أو طلبِ إذنٍ بالغياب، يجب على القائد محاسبته، وإذا اقتضى الأمر معاقبته، وجاءت قرارات

سليمان عليه السلام بعقوبة الهدهد نتيجة لغيابه في ثلاثة احتمالات^{١٢}:

الأول: إذا كان الغياب تقصيرًا أو غفلةً أو انشغالًا بأمرٍ أخرى خارج المهمة الوظيفية الملقاة

على عاتقه، فستكون العقوبة شديدة وفيها العذاب، وربما كان هذا العذاب السَّجن أو قَطْعُ الغذاء

أو الضرب أو غير ذلك، فمن حقَّ القائد أن يضع القوانين اللازمة والمناسبة لذلك.

الثاني: إذا كان الغياب بسبب الخيانة، واللجوء إلى دولةٍ أخرى، فهنا تكون العقوبة بالقتل،

وهو ما يُعرف عندنا اليوم بالإعدام؛ لأن الجريمة هي جريمة الخيانة العظمى، فاقضى أن تكون

العقوبة تناسبها.

الثالث: في حالة أن يقدم الهدهد عذرًا مقبولًا ومشفوعًا بدليل قاطع ليس فيه لبسٌ على ما

كان من سبب غيابه، عن ذلك سئلغى فكرة العقوبة من الأصل .وبالفعل؛ فحين عاد الهدهد قدّم

عذرًا تضمّن أدلة علمية وحججًا واضحة؛ يقول الشنقيطي في "أضواء البيان": "ففي هذا السياق

عشرٌ قضايا يُدرکہا الهدهد، ويفصح عنها لنبي الله سليمان عليه السلام:

الأولى: إدراكه أنه أحاط بما لم يكن في علم سليمان.

الثانية: معرفته لسبب بعينها دون غيرها، ومجيؤه منها بنبأ يقين لا شك فيه.

^{١٢} هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

الثالثة: معرفته لتولية المرأة عليهم مع إنكاره ذلك عليهم.

الرابعة: إدراكه ما أوتيته سبأ من متاع الدنيا من كل شيء.

الخامسة: أن لها عرشاً عظيماً.

السادسة: إدراكه ما هم عليه من السجود للشمس من دون الله.

السابعة: إدراكه أن هذا شركٌ بالله تعالى.

الثامنة: أن هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم.

التاسعة: أن هذا ضلالٌ عن السبيل القويم.

العاشرة: أنهم لا يهتدون.

وقد اقتنع سليمان بإدراك الهدهد لهذا كله، فقال له ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 27. [6]]

وفي حالة أن ينطوي حسابُ القائد لأحدٍ ما على عقوبة، فينبغي أن تتّصف العقوبات

المفروضة بما يأتي: [7] أن العقوبة لا تكون إلا بعد استبيان الأمر جيداً، والاستماع للمعاقب، ومنحه

الفرصة المناسبة للردّ على التُّهَم الموجهة إليه، والاستماع لوجهة نظره، والدفاع عن نفسه بواقعيّة،

حين ذلك ستكون العقوبة معبراً حقيقياً عن رصانة قوانين العمل وكفاءة المؤسسة، وعدالة القائد. في

حالة وجود أكثر من عقوبة فإنها تطبق بالتدرُّج، وليس دفعة واحدة . إن الهدف من العقوبة تقويمي وتصحيحي، وليس انتقاصياً تشهيريّاً، فإذا تحقّق المراد فسيكون من الأفضل إزالة آثارها بالكامل، لقد أنزل الله تعالى قرآنًا في شأن كعب بن مالك رضي الله عنه وأصحابه؛ لإزالة كافة الآثار والتبّعات التي حصلت من جرّاء العقوبات التي عوقبوا بها؛ قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ التوبة: 118 إعادة الفرد المعنيّ بالعقوبة إلى مكانته السابقة، وبالقيمة نفسها والتقدير نفسه^{١٣} .

المصادقية في تطبيق العقوبات، وأن تطبق على الجميع من غير استثناء، فإذا رأى الأفراد التهاون في العقوبات المعلنة تهاونوا في الانضباط بقوانين وأنظمة العمل؛ لما يرونه من ضعف - أو عدم مصداقية - ذلك الوعيد، وحين ذاك لن تؤدّي العقوبات دورها الفعّال المطلوب .

5. النفوذ الواسع : والنفوذ : هو القدرة على إحداث أمرٍ أو منعه، وهو مرتبطٌ بالقدرات

الذاتية، ويُضاف لها الإمكانيات الماديّة والصلاحيات الممنوحة والأدوات المتوفّرة، فمن أجل أن يكون سليمانٌ عليه السلام قادرًا على التغيير فإنه يحتاج إلى نفوذٍ واسع، ومن حكمته عليه السلام أنه طلب نفوذًا عظيمًا؛ قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ

^{١٣} هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

أَوْ أَمْسِكْ بِعَبْرِ حِسَابٍ ﴿﴾ [ص: 35 - 39]. واستجاب ربُّ العزة جل جلاله لدعائه،

وأعطاه ما طلب؛ لِيُمارس دور القائد بإمكاناتٍ هائلة، فَمِمَّا أعطى الله جل جلاله لنبيه

سليمان عليه السلام:

ومن مزياءه: سَخَّرَ له الرِّيحَ . سخر له الشياطين يعملون له ما شاء . علَّمه منطق الطير . فضَّله

على كثير من عباده المؤمنين . آتاه ملكًا عظيمًا لا ينبغي لأحد من بعده في عظمته . خَوَّلَه فيما

أعطاه بالعطاء أو المنع أو التصرف من غير حساب^{١٤} .

6. **رفض الرشوة:** وهنا ينبغي للقائد أن يميز جيدًا بين الرشوة وبين الهدية، وتدخل في هذا

التمييز مجموعة من العوامل؛ فمنها العلم، ومنها التقوى، ومنها نقاء السريرة، ومنها صدق

النية، فالهدية والرشوة في العطاء والأخذ متشابهتان، ولكن الفرق في النوايا والنتائج، ومن

هنا ميَّز النبيُّ سليمان عليه السلام أنَّ ما أرسلته الملكة بلقيس إنما كانت بمثابة الرشوة، لعله

يرجع عن قراره حين دعاهم للإسلام؛ لذلك فإنه عليه السلام رفضها رفضًا قاطعًا، قال

تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ

بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿﴾ [النمل: 36].

ويحقُّ للقائد أن يقبل الهدية سواء كانت شخصية أو لمصلحة الجماعة، ولا يحق له أن يأخذ

الرشوة، وللتمييز بين الهدية والرشوة^{١٥}:

^{١٤} هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

والهدية تكون من غير مقابل؛ ولهذا اعتبر النبي سليمان عليه السلام هدية بلقيس رشوة، حين

قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]، فما دامت الملكة

بلقيس تنتظر أن يرجع من أرسلته بالهدية بالنتيجة فقد كانت تنتظر المقابل لتلك الهدية، فتكون

رشوة وليست هدية. أن لا يكون توقيتها في وقت اتخاذ قرار بشأن معين، فيؤثر وجودها في ذلك

القرار بشكل كلي أو جزئي.

وعلى العموم فإن الرشوة هي ما يتوصل به إلى إحقاق باطلٍ أو إلى إبطال حق؛ يقول شيخ

الإسلام ابن تيمية: "قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي الأمر ليفعل معه ما لا يجوز كان حراماً

على المهدي والمهدي إليه، وهي من الرشوة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله

الراشي والمرشي والرائش.

7. مواكبة التطور العلمي واستثماره : ومن ذلك أن سليمان عليه السلام استغل العلم في

صناعة الزجاج، واستثمر ذلك في إبحار بلقيس من أجل هدايتها، فأمر عليه السلام بأن

تُرَجَّح الأرض التي استقبل عليها بلقيس، وجعل من تحت الزجاج الشفاف ماءً يجري، فلما

رأته ظنَّت أنه بركة من ماء، فرفعت ثيابها من أجل أن لا تبطل، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا

ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44]

¹⁰هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

8. فهم لغات الرعيّة وإن اختلفت ، والقائد الإيجابي يحتاج لأن يتكلم بلغة رعيته؛ فإنها قد

تختلف لهجات الأمة بسبب اختلاف الأعراق، أو المناطق، أو الجنس، وإن التفاهم بين

القائد وأتباعه عبر المترجمين قد يُحدث خللاً في الفهم، ولقد منّ الله جل جلاله على

سليمان عليه السلام أن علّمه لغات الحيوانات والحشرات وغيرها؛ لأنها عملياً كانت من

رعاياه وتعمل تحت أمره.

فمن اللغات التي كان يعرفها سليمان عليه السلام:

منطق الطير؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ

هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: 16].

لغة الحشرات؛ ومنها لغة النمل، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا

النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا

﴿ النمل: 18، 19 ﴾

وردت مجموعة من الآثار في بعض التفاسير عن بعض الإسرائيليات أن سليمان عليه السلام

كان يستمع إلى الفاخنة والقمري والضفدع وغيرها من الحيوانات، فيبلغ الناس بأقوالها، وهذه

التفصيلات لم تدكرها آيات القرآن العظيم وهو مقام بحثنا، كما ليس فيها نصّ صحيح مرفوع إلى

النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذلك فقد تجنّبها البحث^{١٦}.

^{١٦} هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

9. **الشكر:** فكان نبي الله سليمان عليه السلام يَعْلَمُ أن الشكر صفةٌ ينبغي أن تلازم القائد الإيجابي، فكان عليه السلام ما إن يَرَى نعمةً من الله جل جلاله حتى يُبادر بالشكر لله جل جلاله؛ فقد قالها حين سمع كلام النملة وفهم قولها؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِمْكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْرِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل: 18، 19.

قال النبي سليمان عليه السلام بالشكر عندما جاء ذلك الرجل - الذي يَعْلَمُ اسمَ الله الأعظم - بعرش بلقيس ووضعه أمام ناظره، قبل أن يرتدَّ إلى سليمان عليه السلام طرفه، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]، وقد جرى شرحُ الشكر عند القائد داودَ عليه السلام^{١٧}.

د. ظهور قيادة سليمان عليه السلام في قصة هدهد

قال تعالى: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِلَيَّ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *

^{١٧} هايل عبد المولى، الإدارة والقيادة في السياسة الإسلامي، رياض: دار الشروق، 2008، ص. 27.

وَحَدَّثَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
 تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *
 أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّيِ الْقَائِي إِلَيْي
 كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ
 يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْرِ
 شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ
 أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ
 قَالَ أَتِمِدُونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
 قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ
 لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه
 مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ
 فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ
 تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
 وَكشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ
 سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {

هذه الآيات تحكي لنا قصة هدهد سليمان عليه السلام ، وتروي لنا العجيب من خبره مع

هذا النبي العظيم .

وابتداء لا بد أن ندرك أن هذا الهدهد السليماني لم يكن هدهدا من عامة الهداهد وإنما هو هدهد معين خاص ، وقد دل على ذلك أن الله قال : { مالي لا أرى الهدهد } ((ولم يقل : مالي لا أرى هدهدا من عرض الهداهد ، فلم يوقع قوله على الهداهد جملة ، ولا على واحد منها غير مقصود إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامة ، ولكنه قال : { الهدهد } فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدل بذلك القصد على أنه ذلك الهدهد بعينه ، وكذلك غراب نوح ، وحمار عزيز ، وذئب أهبان بن أوس ، فقد كان لله فيه وفيها تدبير ، وليجعل ذلك آية لأنبيائه ، وبرهاننا لرسله

((^{١٨}

والهدهد في العادة ((نوع من الطير ... في رائيحه نتن ، وفوق رسه قرعة سوداء ، وهو أسود

البرائن ، أصفر الأجفان ، يقات الحبوب والدود ، ويرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرق على موضع علم أن فيه ماء ، وقال الجاحظ : زعموا أنه هو الذي كان يدل سليمان على مواضع الماء في قعور الأرضين)) ، وقد ذكروا في سبب نتن رائيحه أن ذلك عائد إلى أنه يبني بيته من الرّبل ، أو إلى تلك الجيفة المنتنة في رأسه ، إذ تزعم العرب أن أم الهدهد لما ماتت جعل قبرها على رأسه ، فجعل الله له تلك القنزعة على رأسه ثوابا له على ما كان من بره لأمه ! وقيل : بل هو منتن من نفسه من غير عرضٍ عَرَضَ له ، شأنه في ذلك شأن التيوس والحيات وغيرها .

^{١٨} سيد قطب، في ظلل القرآن، دمشق: دار المعارف، 2001، ج. 6، ص. 239.

والعرب يضربون المثل بقوة إِبصار الهدهد فيقولون : أبصر من هدهد ، كما يقولون : أبصر من غراب وأبصر من عقاب وأبصر من فرس .^{١٩}

بعد هذه المعلومات الخاطفة عن جنس الهدهد بشكل عام نرجع إلى هدهدنا السليماني في هذه القصة الفريدة العجيبة ، وسنقف وقفات في مدرسة هذا الهدهد ، وفي قصته مع سليمان في الجملة ، وسنفاجأ حقيقة بمدى ما كان لهذا الهدهد من إيمان وذكاء وأدب .^{٢٠}

الوقففة الأولى / الهدهد الإيجابي : لقد شاهد الهدهد إبان طيرانه قوما يعبدون الشمس ، شاهد

هذا المنكر العظيم ، فماذا فعل ياترى ؟ إنه لم يقف موقفا سلبيا ، وإنما ذهب وتحرك وتقصى ، وألقى بالنبأ إلى سليمان عليه السلام ، باذلا بذلك كل وسعه في تغيير المنكر ، وضاربا بذلك أروع المثل في الإيجابية العملية .

لقد فعل الهدهد ذلك كله دون تكليف مسبق ، أو تنفيذ لأمر صادر ، وجلب للقيادة المؤمنة خبرا أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام .^{٢١}

إن هذا لا يعني التسبب والتصرف الفردي ، ولكنه يدل على الإيجابية الهادفة بضوابطها ، دون الخروج على أهداف المجموع . إن هذه الإيجابية التي تميز بها الهدهد السليماني هي مانفتقده اليوم في كثير من شباب الصحوة اليوم ، فهم - إلا من رحم الله - لا يكادون يبادرون إلى عمل ، أو يسارعون إلى بذل ، ولا يتحرك أحدهم إلا حين يكلف بعينه وشخصه ، ومع ذلك فهو يتشاكل في

^{١٩} سيد قطب، في ظلل القرآن، دمشق: دار المعارف، 2001، ج. 6، ص. 239.

^{٢٠} سيد قطب، في ظلل القرآن، دمشق: دار المعارف، 2001، ج. 6، ص. 239.

^{٢١} هايل عبد المولى، مصدر سابق.

التنفيذ ، ويبطئ في الأداء. وماهكذا كان السلف ، بل كانوا إيجابيين بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، وإنك لتنظر إلى جيل الصحابة فتري لكل صحابي سمة معينة وإبداعا متميزا ، فمنهم من أشار واقتراح ، ومنهم من أوضح وشرح ، ومنهم من أضاف واستدرك ... وحسبنا خبر ذلك الصحابي في معركة القادسية حين رأى خيل المسلمين تنفر من فيلة الفرس فصنع فيلا من طين ، وأنس به فرسه حتى ألفه ، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل ، فحمل على الفيل المقدم حتى دحره .^{٢٢}

إن لهذه الإيجابية ثمرات عديدة رائعة منها :

- نمو الحضارة الإنسانية : فمعظم الاختراعات والابتكارات كانت فردية ، وبدأت بإيجابية

عملية من عالم أو صانع .

- الإعذار إلى الله : وقد امتدح الله قوما واصلوا الوعظ والإرشاد لقوم غلف القلوب لا

لشيء إلا للإعذار إلى الله وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم

عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون .

- احترام النفس والثقة بها : فالإيجابي رجل يحترم نفسه ويعرف قدرها في غير غرور ولاكبر

، وانظر إلى ذلك الذي قال له رجل : إريدك في حويجة فقال له : ابحت لها عن رحيل

. إن التواضع الكاذب المصطنع ليس إلا فرارا من البذل ، ونكوصا عن العطاء ، والمؤمن

الحق باذل إيجابي لا يعوقه معرفته بعيبه عن البذل والعطاء . ومن أراد أن يزيد إيجابيته

^{٢٢}المصدر سابق.

فعلية بتقوية الإيمان ، وتجنب الهوى ، وحفظ الهمة ، وتحصيل العلم ، والإبداع في التخصص .

الوقف الثانية / الهدهد ومهارات الخطاب : لقد كان في خطاب الهدهد لسليمان العديد من المهارات والإبداعات التي يحسن بالشباب المسلم أن يتعلمها وهو يخاطب الآخرين . فنلاحظ أولاً إنجازه للخطاب مع سليمان ، فقد جمع في أسطر معدودة قصته الطويلة مع هذه الملكة التي تعبد وقومها الشمس .

إن الهدهد يدرك أنه يخاطب ملكا ، والملوك أوقاتهم مليئة بالمشاغل وليس لديهم وقت لسماع التفاصيل والجزئيات ، ومن هنا ركز الهدهد على أصول المسائل فأوجز وأبلغ . وعلى الشاب المسلم أن يدرك هذا ، فإذا تخاطب مع مسؤول كبير ، أو شيخ فاضل ، أو عالم جليل ، أو أخ نبيل ، إذا تخاطب مع أحد هؤلاء المليئة أوقاتهم بالعمل فعليه ألا يكون ثثارا مهذارا ، يجعل من الحبة قبة ، ويحيل السؤال الصغير إلى قصة طويلة عريضة ، إن في هذا من إهدار وقت الفضلاء ما لا يطاق ولا يحتمل ، وإنك حين تفعل هذا أيها الأخ فستكون ثقيلًا بغيضا ، لأن المقابل يشعر أنك تضيع وقته .^{٢٣}

استفتح الهدهد خطابه لسليمان بشيء عجيب ، إذ قال له : { أحطت بما لم تحط به ! } إن الهدهد ((يعرف حزم الملك وشدته ، ولذلك بدأ حديثه بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الملك له ... وأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له : أحطت بما لم تحط به .

^{٢٣} المصدر سابق.

وهكذا عليك أيها الأخ أن تكون في خطابك ذكياً ، وأن تفلح في جذب استماع المخاطب ، حتى تتمكن من إيصال رسالتك . ولئن كان الهدهد بهذا الأسلوب يحاول أن ينجو من عقوبة ، فإننا نستخدمه ونطوره لنشر الخير والدعوة ، ذلك أن الكثيرين من العصاة حولنا لا يأنسون بكلامنا ، وينفرون من هذه المواعظ المعتادة التي تلقى ، وبمجرد أن تبدأهم بالحديث بها أو عنها فإنهم يعرضون ، ولذلك فأنت بحاجة إلى مدخل ذكي تشد به أسماعهم وتأسر ألبابهم حتى تتسلل كلمات الحق إلى قلوبهم . أذكر أن أحد الخيرين رأى نفراً من الشباب الضائعين في مطعم ، فجاءهم وقال : هنيئاً لكم أيها الشباب ! إن هذه الأرض تشهد لكم عند الله ! قالوا : كيف ؟ قال : أستمتم تصلون ؟ قالوا : بلى ، قال : فالأرض تشهد لكل من صلى عليها ! لقد كان هذا مدخلاً ذكياً جذب به أسماعهم وأزال الحواجز بينه وبينهم .^{٢٤}

حين أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بخبر بلقيس وقومها وكفرهم بالله ، لم يقل لسليمان : اذهب فأمرهم بالتوحيد والسجود لله ، وإنما قال : { ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء ... } ، فالهدهد هنا ألمح بالحل ، ولم يأمر به ، اقترح ولم يفرض ، عرض ولم يصرح بالتكليف . وممثل هذا الأسلوب يمكن أن نكسب الناس .

إن طبيعة النفس الإنسانية أنها تنفر من الأوامر الصارمة المتعددة الجازمة ، ولذلك كان لزاماً علينا ونحن نوجه الناس ونعظهم أن نجتنب صيغة الأمر المباشر ، ونحاول اللجوء لأسلوب العرض والاقتراح ... وكما بين أن تقول لشخص : يا هذا قم الليل ألا تعلم فضل قيامه ؟ إلى متى النوم

^{٢٤} ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت: دار الفكر، 2001، ج. 7، ص. 318.

والغفلة .. وبين أن تقول له : يا أخي ، لقد وفق الله المصطفين من عباده فصفوا أقدامهم بالأسحار
مصلين ، فأصبحوا ووجوههم مشرقة منيرة ، ياليتنا نكون منهم .
فكن يا أخي قليل الأوامر ، ولاسيما إذا لم تكن مسؤولاً .^{٢٥}

حين أخبر الهدهد انبغاء السجود لله قال : { الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم } ،
فاختار وصف الله بالعظمة تذكيراً لسليمان بأن هناك من هو أعظم منه ، محاولاً بهذا أن يخفف من
غضب سليمان عليه السلام عليه .

قال ابن القيم في قوله تعالى : { وحتتكَ من سبأ نبأ يقين } : ((والنبأ هو الخبر الذي له
شأن ، والنفوس متطلعة إلى معرفته ، ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب ، فهذه مقدمة بين
يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ ، استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر ، وأوجبت له التشوف التام
إلى سماعه ومعرفته ، وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهيج ، ثم الكشف عن حقيقة الخبر
كشفاً مؤكداً بأدلة التوكيد)) [شفاء العليل 71 نقلاً عن الإيجابية في حياة الداعية 24]

الوقفه الثالثة / الهدهد وإنكار المنكر : وهذا شيء بين ، فقد ساء ما رأى من عبادة بلقيس
وقومها للشمس ، فتمعر وجهه لذلك وحمي أنفه ، وما زال بهم وبسليمان حتى دخلوا جميعاً في
الإسلام وزال هذا المنكر .

فهل نجد في واقعنا صدى لهذه الخصلة ؟ إن إنكار المنكر . وللأسف . صار لا يشكل جزءاً من همتنا
ولا من تربيتنا مع أننا جميعاً نحفظ حديث السفينة ونذكر خطر المنكرات حين تنتشر . وحسبنا زاجراً

^{٢٥} ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت: دار الفكر، 2001، ج. 7، ص. 318.

ذلك الأثر الذي جاء فيه أن الله أمر جبريل أن يهلك أهل قرية لفسقهم ، فقال : يارب إن فيهم عبدك فلانا ما عصاك قط ! قال : فيه فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه من أجلي.^{٢٦}

الوقفه الرابعة / الهدهد الدقيق : أنظر إلى قول الهدهد : { أحطت بما لم تحط به } ، قال الشوكاني : ((والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته)) ويقول الطاهر بن عاشور : ((والإحاطة : الاشتمال على الشيء وجعله في حوزة المحيط ، وهي هنا مستعارة لاستيعاب العلم بالمعلومات)) فالهدهد لم يقنع بأخذ طرف من الأخبار ، وإنما مازال ببلقيس وقومها حتى (أحاط) بأخبارهم ، وفي هذا من الدقة والضبط ما لا يخفى . والواجب علينا دائما ألا نبادر إلى الحكم على الشيء حتى نحيط به ، ونلم بجوانبه . إن من مشاكل شباب الصحوة اليوم ضيق الأفق وقصر النظر ، والنظر إلى القضية أو المشكلة من زاوية واحدة دون إحاطة كإحاطة الهدهد مما يوقع في المشاكل ويؤدي إلى التعصب للرأي .

وأبرز آفات هذا الضيق في الأفق معاداة المخالف في الفروع ، ذلك أن هذا المعادي لم يحط بالمسألة من سائر جهاتها فيعرف أنها قابلة للأخذ والرد وإنما نظر من زاوية واحدة ظنها الصواب المحض ، وصدق فيه قول من قال : يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم فيحسب أن عنده العلم كله . ومن آفاته الخطيرة شيوع ظاهرة التأييم والتفسيق والتبديع ، إذ المقترف لهذه الأمور لم يحط بما أخذه على خصمه ، ولم يعرف جلية الأمر ، ولا نظر الدوافع والأسباب ، ولا جمع كلام

^{٢٦} هايل عبد المولى ، المصدر سابق .

المتهم كله ليوافق بعضه ببعض ... وإنما هو في الغالب أخذ ذروا فحكم ، أو نظر إل جزءه فجزم

٢٧ .

الوقفه الخامسة / الهدهد وسلطان العلم : قال ابن القيم : ((إن سليمان لما توعد الهدهد

بأن يعذبه عذابا شديدا ، أو يذبحه إنما نجا منه بالعلم ، وأقدم عليه في خطابه له بقوله : { أحطت

بما لم تحط به } خيرا ، وهذا الخطاب إنما جرأه عليه العلم ، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من

خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم)) . وهكذا ارتفع الهدهد بالعلم ،

والعلم دائما يرفع صاحبه ، { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } ، ولهذا قال

الربيع : والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلى هيبه له ! وقال وهب بن منبه : يتشعب

من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيئا والعز وإن كان مهينا ، والقرب وإن كان قصيا ،

والغنوان إن كان فقيرا ، والمهابة وإن كان ضيعا ...)) وعن الفضيل قال : عالم عامل بعلمه يدعى

كبيرا في ملكوت السموات)) ولعل مما يشهد لنا في هذا المقام خبر عرش بلقيس ، فقد أخبر الله

أن عفريتا من الجن (والعفريت هو الشديد الذي لا يصاب ولا ينال) وعد سليمان أن يأتيه

بالعرش قبل أن يقوم من مقامه ، وكان يجلس للناس للقضاء والحكومات من أول النهار إلى أن تنزل

الشمس . بينما وعده الذي عنده علم من الكتاب أن يأتيه به قبل أن يرتد إليه طرفه .^{٢٨}

وهذه المناظرة بين العفريت من الجن ولاذني عن علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى

بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة)) فليس المقياس إذا قوة ولا نسب ولا مال وإنما هو علم يقود

^{٢٧} المصدر سابق.

^{٢٨} المصدر سابق.

للتقوى .

وإذا كان الأمر على هذا النحو فأين نحن من العلم؟ ما حصيلتنا منه؟ ما مدى حرصنا عليه؟ إلى

أي حد نهتم به؟

أسئلة كثيرة تحتاج إلى جواب .

الوقفة السادسة / الهدهد واحترام القيادة : قال النسفي رحمه الله حول قوله تعالى : {

فمكث غير بعيد } : ((ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسرعه خوفا من سليمان)) إذا

... فقد كان الهدهد يهاب سليمان ويحترمه ويقدره ، ومع أنه كان في مهمة دعوية عظيمة الشأن

إلا أنه مع ذلك حاول إنجازها بأسرع وقت لأنه تذكر أنه خرج في الأصل بغير استئذان . ويتجلى

هذا الاحترام والتقدير أيضا في عرض الهدهد القضية لسليمان دون أن يبدلي فيها برأي أمر ، وإنما

عرض ولمح كما سبق بيانه .^{٢٩}

الوقفة السابعة / سليمان عليه السلام وعوامل النجاح القيادي : لقد كان سليمان عليه

السلام نبيا مسددا ، وملكاً ملهما موقفا ، والناظر في تصرفاته في قصته مع الهدهد يلمح كثيرا من

عناصر التفوق القيادي ، والتي منها :

- تفقد الأتباع : فمع أن سليمان قد حشر له جنود الإنس والجن والطير ، حتى ذكر

بعض أهل التفسير أن معسكره كان مئة فرسخ في مئة ! مع هذا كله لم يفته غياب هذا

الهدهد ، وتنبه له ... ولم يكن هذا التنبه عارضا ، وإنما بعد تفقد وسؤال مما يدل علأنه

^{٢٩} المصدر سابق.

كان يحرص على رعيته ويسأل عنهم ، قال الطاهر : ((صيغة التفعّل [يعني في تفقّد] تدل على التكلف والتكلف الطلب)) ، فهو كان . عليه السلام . يتكلف البحث والسؤال . ولا يمكن أن يكون القائد ناجحا إلا بمثل هذا التفقد ، وانظر مثلا إلى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ثابت بن قيس بن شماس وكيف أنه افتقده بعد نزول سورة الحجرات فسأله عنه حتى عرف نبأه ثم بشره بالجنة ، وكثيرا ما تجد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه افتقد فلانا ، أو سأل عن فلان . و لا يمكن وصف الأثر الذي يحصل في قلب الفرد حين يعلم أو يشعر أن أميره افتقده وسأل عنه حتى وإن كان في السؤال شدة ومعاناة ، على حد قول الشاعر : لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرنني أن خطرت بيالكوم مشكلة قادتنا اليوم أنهم . في أحيان كثيرة . لا يدرون شيئا عمن تحتهم ، ولا يكاد الواحد منا يهتم بأفراد رهطه أو عشيرته أو حلقتة في التحفيظ مثلا ، وبالتالي يفقد كثيرا من رصيد الحبة في قلوب أتباعه ، وبعدها عليه ألا يلوم إلا نفسه إذا لم يجد استجابة وطاعة .

- الحزم والصرامة : ولا بد منهما للقائد ، وانظر كيف أن سليمان عليه السلام لما تبين له غياب الهدهد دون إذن ، ولما شاع خبر غيابه أمام الجميع ، قال : { لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه } ، وقد اختلف المفسرون في شأن العذاب الشديد ، وملخص أقوالهم أنه إما بنتف ريشه وإلقائه في الشمس ، أو بالتفريق بينه وبين إلفه ، أو بإلزامه خدمة أقرانه ، أو بالحبس مع أضداده لقد هدد سليمان الهدهد بهذه العقوبات (استصلاحا له إن كان يرجى صلاحه ، أو إعداما له لئلا يلحق بالفساد غيره) ولا ريب

أن الحزم والصرامة في مواجهة الخطأ كفيلة بوأده في مهده ، أما حين يخطئ الإنسان ويشيع خطؤه في الناس ثم يتراخى القائد في الأخذ على يده فإن العاقبة حينئذ تكون سيئة ، إذ يتجرأ غيره على الخطأ ، وتنكسر حينئذ هيبة القيادة .وينبغي علينا ألا نأخذ هذا الكلام بحرفيته في تعاملاتنا فنحن إخوة قبل أن نكون رؤساء ومرؤسين ، وليس بالضرورة أن أعاقب أخي المخالف بنتف ريشه أو ذبحه ! وإنما قد تكفي أخي الحر كلمة عتاب ، أو نظرة لوم .المهم أن القائد هو الذي يقدر العقوبة التي يستحقها المخالف ، والمهم أن يظل العمل بمبدأ الثواب والعقاب .ولعل من المفيد هنا أن نذكر مسألة حول تعذيب الحيوان ...

قال الطاهر : ((وأما عقوبة الحيوان فتكون عند تجاوزه المعتاد في أحواله ، قال القرابي في تنقيح الفصول : سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن قتل الهر المؤذي هل يجوز ؟ فكتب وأنا حاضر : إذا خرجت أذيته عن عادة الققط وتكرر ذلك منه قتل .اهـ. قال القرابي : فاحترز بالقيد الأول عما هو في طبع الهر من أكل اللحم إذا ترك فإذا أكله لم يقتل لأنه طبعه ، واحترز بالقيد الثاني عن أن يكون ذلك منه على وجه القلة فإن ذلك لا يوجب قتله ...)) . وقد حل لسليمان عليه السلام تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع ، وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة .

- التثبت والتبين : ونرى ذلك واضحاً في قوله بعد سماعه خبر الهدهد : { قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين } . كما تجلّى ذلك في استثنائه عند التهديد بالعقوبة

حيث قال : { أو ليأتيني بسلطان مبين }

إن العجلة في الحكم وتصديق كل ما يقال والجزم بالنتائج دون سماع الرأي الآخر إن هذه كله من تصرف الغوغاء ، ولا يمكن لقائد أن ينجح ما لم يتخذ من التأني والتروي والتبين والتثبت شعارا .

- معرفة مواطن الضعف عند الخصم : فحين هدد سليمان عليه السلام بلقيس لم يهددها بالموت ولا بالهلاك ، بل هددهابالذلة ((ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)) ، ذلك أنه شعر من قولها فيما حكاها الله عنها : ((إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة)) شعر من ذلك أن أخوف ما تخاف منه أن تصير ذليلة بعد العز ، فمن ثمّ خوفها بما تخاف منه ، واستغل نقطة ضعفها كما يقول المعاصرون .

الوقفه الثامنة / متابعة صدى المواقف والأقوال : إن الكثيرين من الدعاة وناشري الخير

يلقون الكلمات الطيبة ، ويقفون المواقف المؤثرة ، ثم ينصرفون . إنهم يعملون بطريقة : قل كلمتك وامش . ومثل هذه الطريقة لا تبني رجالا بحال ، وإنما هي تؤثر تأثيرا وقتيا لا يلبث أن يزول ويمحي بمرور الأيام . وانظر إلى هذا الدرس السليماني : { اذهب بكتابي هذه فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون } ... تأمل قوله : { فانظر ماذا يرجعون } ! نعم ليست القضية أن يلقي الكتاب ويوصل الرسالة فقط ... وإنما هناك متابعة لردة الفعل ، هل استجابوا ؟ هل لانوا ؟ هل

عاندوا؟ وبناء على ردة الفعل يكون التصرف ، وبهذا يكتمل الأمر ، ويوصل إلى التصرف السليم

٣٠ .

إن كثيرا من المحاولات التربوية تفشل لأن المرابي يهتم بإلقاء كل ما لديه من معلومات وفوائد واحدة تلو الأخرى دون أن يتمهل لينظر أثر ما قال في تلميذه ، وهل وصلت الرسالة أم لا ؟ وهل تشرب المعنى المراد أم زل عن قلبه كما يزل الماء عن الصفاة ؟ لا بد من هذا وإلا فعلى العملية التربوية العفاء . وحين لا يلتفت المرابي إلى هذا يفاجأ بمواقف مؤلمة من هذا التلميذ ، وذلك عندما تبدر منه تصرفات وأخلاقيات كان يظن أنه قد تجاوزها بمراحل .

الوقفه التاسعة / لا تغتر بما عندك : جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري [رقم

74] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل جاءه رجل

فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى ، عبدنا خضر

. فسأل موسى السبل إليه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك

ستلقاه . وكان يتبع أثر الحوت في البحر . فقال لموسى فتاه : رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني

نسيت الحوت وما أنسانية إلا الشيطان أذكره . قال : ذلك ما كنا نبغي . فارتدا على آثارهما

قصصا ، فوجدا خضرا ، فكان من شأنهما الذي قصه الله في كتابه)) ... قال ابن حجر : ((وفي

الحديث ... ولزوم التواضع في كل حال ، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر عليهما السلام

وطلب التعلم منه تعليما لقومه أن يتأدبوا بأدبه ، وتنبهها لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع

((فعلى الإنسان ألا يحتقر غيره ، فرب صغير حاز ما لم يحزه الكبير ، وهذا الهدهد وهو طير صغير أحاط بما لم يحط به سليمان وهو نبي ملك ! وقد ((ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام ... ابتلاء له في علمه ، وتنبئها على أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتحاقر إليه

نفسه ، ويتصاغر إليه علمه ، ويكون لطفًا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء))

وهكذا ينبغي أن تدرك أنه قد يكون عند من هو أصغر منك سنا ، وأقل ذكرا ماليس عندك ، وعليه فاحرص على الاستفادة من الجميع ، والقط المعلومه والفائدة من حيث خرجت ، وعلى المسلم ((ألا يتكبر أن يسمع غيره ، فلا يدري الكلمة التي ينتفع منها ، وما من خطيب ولا واعظ إلا وتستفيد منه فكرة أو خبرا أو تذكيرا بعلم قد نسى ، أو ربطا بحادثة واقعية ، أو على الأقل لا يخلو الواعظ من عرض جديد لمعلومة معروفة ، أو نبذة تبلغ إلى أعماق القلب ...)) وفي المقابل على الفرد أن يدرك أنه قد يكون عنده ما ليس عند أساتذه ، وربما خطر بباله ما لم يخطر ببالهم ، أو أحسن ما لم يحسنوه ، فعليه حينئذ أن يبادر بالعمل فيما يحسن ، مع إخلاص نية وقصد ، ومع حفظ لحقوق السابقين من الأساتذة والمربين وعدم التطاول عليهم.^{٣١}

نحن الآن واقفون على مقربة من جيش عظيم، جيش يتكون من إنس وجن ووحوش وطيور، إنه جيش سليمان عليه السلام، أعظم ملوك الأرض، حيث استجاب له رب العزة جل جلاله حين سأله) : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي (فسخر الله له أمورا لم يسخرها

^{٣١} المصدر سابق.

لأحد من قبله ولا من بعده. فصار سليمان بن داود عليهما السلام نبيا لبني إسرائيل وملكاً عليهم، ليكون عهده العصر الذهبي لبني إسرائيل^{٣٢}.

نرى سليمان عليه السلام يتفقد الجيش بعيون القائد العارف بكل صغيرة وكبيرة في جيشه. وفجأة، يغضب سليمان عليه السلام. غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، لقد أحس باختفاء "الهدهد"، أحس باختفاء هذا الطير الصغير من بين هذه الآلاف من الأصناف المختلفة من المخلوقات.

أحس باختفائه، لأنه القائد الحكيم الذي يعرف كيف ينظم جيشه، ويعرف كيف يوجههم ويراقبهم. أما غضبه، فكان لخروج هذا الجندي من غير إذن، ولا تهزم الجيوش إلا عند مخالفتهم أوامر قائدهم، أو عندما يتصرفون انطلاقاً من أهوائهم. وعزم سليمان عليه السلام على معاقبة هذا الجندي العاصي عقاباً شديداً قد يصل إلى الإعدام ليكون عبرة لغيره، فالتزم الجنود بأوامر قائدهم، ويظل الجيش متماسكاً. أو أن يأتي هذا الجندي بعذر قوي ينجيه من هذه العقوبة^{٣٣}.

ولم يطل انتظار سليمان عليه السلام. فجاء الهدهد ووقف على مسافة غير بعيدة عنه وقال: علمت بأمر لا تعلمه أنت، وحثت بأخبار أكيدة من مملكة سبأ - انظر كيف يخاطب هذا الهدهد أعظم ملك في الأرض، بلا إحساس بالذل أو المهانة، وهذه هي الروح التي يجب أن يتحلى بها القائد في تعامله من أتباعه، يجب أن يزرع فيهم احترامه وحبه، لكن من غير خوف وذل ومهانة - واستمر الهدهد في حديث قائلاً: إني وجدت امرأة تحكمهم وأعطاه الله قوة وملكاً عظيمين وسخر

^{٣٢} المصدر سابق.

^{٣٣} المصدر سابق.

لها أشياء كثيرة ولها كرسي ضخم جدا تجلس عليه للحكم مرصع بالجواهر وهم يعبدون الشمس فقد أضلهم الشيطان وزين لهم السجود للشمس وترك الله سبحانه وتعالى .

لنتوقف هنا قليلا.. ما الذي دفع الهدهد للسفر من بلاد الشام لليمن؟! ما الأمر المميز في مملكة سبأ والذي جعل الهدهد يخرج من غير إذن سليمان مع أن عقوبة فعلته هذه هي الموت؟! ما الذي جعل الهدهد يتكلم بكل ثقة مع سليمان عن مملكة سبأ؟^{٣٤}

أما ما دفع الهدهد لقطع هذه المسافة الطويلة جدا من فلسطين لليمن فهو: روح المبادرة وإيجاد الدور المناسب له . لم يكتف الهدهد بأن يكون جنديا عاديا في جيش سليمان، خصوصا وأن الجيش يضم الجن والشياطين والإنس والوحوش، فما هو الهدهد بجانب هذه المخلوقات!! إن قوته لا تساوي جزء من مئة جزء من قوة أحدهم. لذا، دفعته روح "المبادرة" للبحث عن "دور" مهم يناسبه ويكون قادرا على تنفيذه على أتم وجه^{٣٥}.

نأتي للأمر المميز في مملكة سبأ.. إن جنود سليمان عليه السلام على علم تام بهدف سليمان في الأرض، إن هدفه نشر دين الله، وإعلاء كلمته، وتحطيم كل ما يُعبد سواه. هذا "الوضوح في الهدف" سهّل على الجنود تحديد الأدوار التي تناسبهم. فالجن على سبيل المثال يصنعون الأسلحة والمعدات اللازمة لقتال أعداء الله، والإنس يتولون مهمة إخضاع الأعداء بالقوة، أما الهدهد فرأى أن الدور الذي يناسبه هو: البحث عن أعداء الله وإعلام سليمان بهم .

^{٣٤} المصدر سابق.

^{٣٥} المصدر سابق.

وهذا الوضوح في الهدف هو أيضا ما جعل الهدهد يتكلم بثقة مع سليمان غير مكترث

لعقاب أو قتل، فهو يعلم أن ما قام به سيساعد سليمان على تحقيق هدفه وبالتالي فلن يعاقبه .

لنعد لنبينا الكريم سليمان عليه السلام، ولننظر ماذا فعل. لقد تصرف سليمان عليه السلام

بحكمته المعروفة، وهي حكمة القائد الذي استحق أن يهبه الله ملكا ليس لأحد من قبله أو بعده .

لم يتسرع سليمان بتجهيز الجيش، وهو القادر على سحق مملكة سبأ برمشة عين . وإنما أراد

أولا التأكد صدق الأنباء التي نقلها إليه هذا الجندي. فأمره بنقل كتابه لملكهم، وأن يرجع ليخبره

بما حدث .

وتستمر أحداث القصة، التي انتهت بإسلام ملكة سبأ من غير قتال، وتبعها قومها في ذلك .

أحب الإشارة هنا إلى عدة أمور، منها ما يتعلق بسليمان عليه السلام، ومنها ما يتعلق

بالهدهد .

أما ما يتعلق بسليمان عليه السلام فهو :

1. علم سليمان عليه السلام بكل صغيرة وكبيرة في جيشه، ودقة ترتيبه

وتقسيمه له . ويتضح ذلك من اكتشافه غياب الهدهد مع أنه طير صغير .

2. تفقد الجيش بشكل دقيق للتأكد من جاهزيته . ويتضح ذلك من مروره

على الجيش بعد جمعهم لمعرفة الحاضر من الغائب .

3. حرص سليمان عليه السلام بتقيد جيشه بأوامره، وأهمية استئذان القائد

قبل القيام بأي أمر. ويتضح ذلك من غضب سليمان عليه السلام لغياب الهدهد دون استئذان أو أمر .

4. سماع المذنب قبل تنفيذ الحكم به . ويتضح ذلك من سماع سليمان عليه

السلام حجة غياب الهدهد .

5. التأكد من صحة الأخبار قبل اتخاذ أي قرار مصيري. ويتضح ذلك من

إرسال رسالة مع الهدهد لملكة سبأ وأمره بأن يعود ويخبره بما حدث .

6. وضوح هدف سليمان عليه السلام لدى أتباعه . ويتضح ذلك مما قام به

الهدهد من بحث عن أناس لا يعبدون الله ليخبر سليمان عنهم .

أما ما يتعلق بالهدهد فهو:

1. روح المبادرة. ويتضح ذلك من قيام الهدهد من نفسه بالبحث عن أناس

لا يؤمنون بالله، دون أن يطلب منه أحد ذلك .

2. البحث عن دور. ويتضح ذلك من اختيار الهدهد لنفسه دور الدليل

والمستكشف لأنه أنسب له من أن يكون مقاتلا في جيش سليمان عليه السلام .

أتنتي هذه الخواطر وأنا أقرأ قصة نبي الله سليمان عليه السلام، فأحبيت أن أشارككم بها. فإن

أحسنتم فمن الله، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان .

قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ

عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16) وَخَشِيَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ

(17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِمْكُمْ سُلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّسَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

وقال سبحانه: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لِأَعَدَّتَهُ

عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ

بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (22) إِلَيَّ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ

(23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَتَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا

تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) }

وقال في محكم آياته: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي

فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ

فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ

يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
 أَتَمِدُّونَ بِمَالِ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) }

قال تعالى: { قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ
 عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ
 عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ
 رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) }

وقال عز وجل: { قَالَ نَكُونُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ

(41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ

(42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) { النمل

تبدأ القصة بصورة عن جيش عظيم، جيش يتكون من إنس ووجن ووحوش وطيور، إنه جيش

سليمان عليه السلام، أعظم ملوك الأرض، حيث استجاب له رب العزة جل جلاله حين سأله:

{ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } ص آية 35

فسخر الله له أمورا لم يسخرها لأحد من قبله ولا من بعده. فصار سليمان بن داود عليهما السلام نبياً لبني إسرائيل وملكا عليهم، ليكون عهده العصر الذهبي لبني إسرائيل.

سليمان عليه السلام كان يتفقد الجيش بعيون القائد العارف بكل صغيرة وكبيرة في جيشه. وفجأة، يغضب سليمان عليه السلام. غَضِبَ غَضَباً شديداً، لقد أحس باختفاء ”الهدهد“، أحس باختفاء هذا الطير الصغير من بين هذه الآلاف من الأصناف المختلفة من المخلوقات. أحس باختفائه، لأنه القائد الحكيم الذي يعرف كيف ينظم جيشه، ويعرف كيف يوجههم ويراقبهم. أما غضبه، فكان لخروج هذا الجندي من غير إذن. وعزم سليمان عليه السلام على معاقبة هذا الجندي العاصي عقاباً شديداً قد يصل إلى الإعدام ليكون عبرة لغيره^{٣٦}.

لم يطل انتظار سليمان عليه السلام. فجاء الهدهد ووقف على مسافة غير بعيدة عنه وقال: علمت بأمر لا تعلمه أنت، وحثت بأخبار أكيدة من مملكة سبأ: إني وجدت امرأة تحكمهم وأعطاه الله قوة وملكا عظيمين وسخر لها أشياء كثيرة ولها كرسي ضخم جدا تجلس عليه للحكم مرصع بالجواهر وهم يعبدون الشمس فقد أضلهم الشيطان وزين لهم السجود للشمس وترك الله سبحانه وتعالى^{٣٧}.

لم يتسرع سليمان بتجهيز الجيش، وهو القادر على سحق مملكة سبأ برمشة عين. وإنما أراد أولاً التأكد صدق الأنبياء التي نقلها إليه هذا الجندي ”الهدهد“. ”فأمره بنقل كتابه لملكهم، وأن

^{٣٦} ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 321.

^{٣٧} ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 321.

يرجع ليخبره بما حدث. وتستمر أحداث القصة، التي انتهت بإسلام ملكة سبأ من غير قتال، وتبعها قومها في ذلك^{٣٨}.

هـ. أساليب القيادة التي مارسها نبي الله سليمان عليه السلام في قصته مع الهدهد:

من حكمة القيادة التي أشاره القرآن في قصة سليمان مع الهدهد هي:

- الدقة في العمل والترتيب والاهتمام بالتفاصيل وعدم ترك شيء للصدف: علم سليمان عليه السلام بكل صغيرة وكبيرة في جيشه، ودقة ترتيبه وتقسيمه له . ويتضح ذلك من اكتشافه غياب الهدهد مع أنه طير صغير .
- الاهتمام بالآخرين وتفقد أحوالهم: تفقد الجيش بشكل دقيق للتأكد من جاهزيته. ويتضح ذلك من مروره على الجيش بعد جمعهم لمعرفة الحاضر من الغائب .
- الإلتزام بالأوامر: حرص سليمان عليه السلام بتقيد جيشه بأوامره، وأهمية استئذان القائد قبل القيام بأي أمر. ويتضح ذلك من غضب سليمان عليه السلام لغياب الهدهد دون استئذان أو أمر .
- الحزم والعدالة: عن طريق سماع المذنب قبل تنفيذ الحكم به ويتضح ذلك من سماع سليمان عليه السلام حجة غياب الهدهد .
- التأكد من صحة الأخبار قبل اتخاذ أي قرار مصيري: ويتضح ذلك من إرسال رسالة مع الهدهد لملكة سبأ وأمره بأن يعود ويخبره بما حدث .

^{٣٨} ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 321.

- التواصل الجيد: وضوح هدف سليمان عليه السلام لدى أتباعه. ويتضح ذلك مما قام به الهدهد من بحث عن أناس لا يعبدون الله ليخبر سليمان عنهم.

- إن جنود سليمان عليه السلام على علم تام بهدف سليمان في الأرض، إن هدفه نشر دين الله، وإعلاء كلمته، وتحطيم كل ما يُعبد سواه. هذا "الوضوح في الهدف" سهّل على الجنود "تحديد الأدوار" التي تناسبهم. فالجن على سبيل المثال يصنعون الأسلحة والمعدات اللازمة لقتال أعداء الله، والإنس يتولون مهمة إخضاع الأعداء بالقوة. وهذا الوضوح في الهدف هو أيضا ما جعل الهدهد يتكلم بثقة مع سليمان غير مكترث لعقاب أو قتل، فهو يعلم أن ما قام به سيساعد سليمان على تحقيق هدفه وبالتالي فلن يعاقبه.

- "روح المبادرة". ويتضح ذلك من قيام الهدهد من نفسه بالبحث عن أناس لا يؤمنون بالله، دون أن يطلب منه أحد ذلك.

- "البحث عن دور". ويتضح ذلك من اختيار الهدهد لنفسه دور الدليل والمستكشف في البحث عن أعداء الله وإعلام سليمان بهم لأنه أنسب له من أن يكون مقاتلا في جيش سليمان عليه السلام³⁹.

فإن الهدهد هو طير له عرف مميز على رأسه، لونه بني فاتح وعرفه البني مرقط من أطرافه بالريش الأسود ونصفه الأسفل أسود مرقط بالريش الأبيض في نظم جميل، له طريقة مميزة في الطيران، ويتغذى على الحشرات ويشاهد أفراداً في المناطق الزراعية، وهو من أصدقاء الفلاحين فهو

³⁹ ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 321.

ينظف الأرض من الديدان والبرقات والآفات. يعد وجوده، ومشاهدته علامة على نقاء البيئة من المبيدات الحشرية، وله قابلية عجيبة في طلب الماء والكشف عن تواجده تحت الأرض.

يتميز الهدهد بسرعته الفائقة في الطيران والعدو، كما يتميز أيضاً برشاقتة وحسن مظهره وخصوصاً مع تلك التتوءات الريشية أو القرعة الموجودة في مؤخرة رأسه. طوله حوالي 31 سم وألوانه تختلف حسب المناطق. له أجنحة مخططة أو ملونة بالأبيض والأسود. منقاره معقوف طويل وقوي وأجنحته دائرية تقريباً، أرجله قصيرة وذيله مربع، والريش الجميلة في مؤخرة رأسه قد تتحول لشكل مروحي عندما يستثار، ويعمل على نفخ ريش رقبته عند المناادة. وعند الخطر يومض برأسه. يتناول الأعشاب من البراري المفتوحة ويفضل الحشرات كالديدان ويرقاتها اللينة التي يلتقطها من التراب وفتحات الصخور الضيقة باستخدام منقاره الطويل، كما يأكل الحيوانات الصغيرة كالسحالي والعضايا. ويرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرغ على موضع علم أن فيه ماء، يضرب العرب به المثل بقوة إبطاره فيقولون: أبصر من هدهد، وزعموا أنه هو الذي كان يدل النبي سليمان على مواضع الماء في قعر الأرض.^{٤٠}

^{٤٠} ابن كثير، قصص الأنبياء، بيروت: دار الفكر، 2003، ص. 321.